الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فاري عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظة
وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم
شربة ماء ثم قال علماء زماننا اشر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وما
هو يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان
ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال بن المبارك اعني به سعد بن ابي وقاص قال وكان يغشى السلاطين
فقعد عنهم فقال له بنوه ياتي هولاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو
اتيتهم فقال يا بني اتى جيفة قد احاط بهم قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا
اذا تهلك هزلا قال يا بني لئن اموت مومنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال
الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان
الدخول على الامراء لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغشى
ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان
يلقي اليه ان وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعاير الشرع الى ان
يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن
ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا واذا عملوا
شغلوا واذا شغلوا فقدوا واذا فقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله
اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلم يريدوك
واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه
بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه
فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم تزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك
والفضيل وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام وغيرهم
اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون متسارعا الى الفتوى بل يكون
متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله ونص
حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك به قال لا ادري وان سئل عما يظنه
باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم
لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري
قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف
بالجهل على النفس اشد وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى
قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس

في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاها اصيبت مقاتله قال ابراهيم بن ادهم
ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من
كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسالوا فاذا
سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا وان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة
الخفية للكلام ومر علي وعبد الله بن مسعود برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال
بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسالة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول اتريدون ان تجعلو نا
جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال
ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسالة يبكي ويقول
لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم النخعي والثوري وابن ادهم
يتكلمون على اثنين وثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي
ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا ما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال
لا ادري حتى نزل جبرائيل فساله فقال لا ادري حتى اعلمه الله ان المساجد خير البقاع وشرها السوق
المساجد وشرها الاسواق صح
وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن
تسعة ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس
واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن ابن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسئل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك
وفي لفظ اخر كانت المسالة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب
الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهم في غاية ضر فاهداه الى الاخر واهداه الاخر الى الاخر هكذا
دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه
ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف
وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم
كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في
خمسة اشياء قراءة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا
من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال
تعالى لا خير في كثير من نجويهم الاية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الراي من الكوفة في المنام
فقال له ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا
عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسالة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل
السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا وصمتا فاقربوا منه
فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو
العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة

Copyright © King Saud University